علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون

تيسير شيخ الارض

تمهيـد : « المقدمة » والسياسـة

اذا أنعمنا النظرفي « مقدمة» ابن خلدون في ضوء ما آل اليه علم الاجتماع ، وجدنا أنه رأى فيهـا الموضوع الاجتماعي مـن أكثـر جوانبه ، وان دراسة منهجية لها من شأنها أن تبين هـذه الجوانب ؛ لا سيما أن ابن خلدون كتب « مقدمتـه » في مـدة قصيرة لا تتجاوز الخمسة أشهر(١) ؛ من دون أن يجد له متسعاً من الوقت يساعده على عرض موضوعه عرضاً منظمـاً ؛ بحيث يعرض الظواهر الاجتماعية ظاهرة ظاهرة ، بعـد تحديد الموضوع العام لعلم الاجتمـاع ٠

والحقيقة ، أن ابن خلدون لا يقتصر في «مقدمته» على الموضوع العام لعلم الاجتماع، بل يتجاوزه الى ظواهره الاجتماعية المختلفة، كالظاهرة التعليمية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والمعرفية واللغوية والأدبية الخ ٠٠٠ لكننا لن نتعرض لهذا كله هنا ، وانما نريد أن نتوقف عنـد ظاهرة واحـدة هنـا ، هي الظاهرة السياسية، بما هي ظاهرة اجتماعية ٠

ان أول سؤال يطرح نفسه علينا ــ ونحن بصدد موضوع السياسة عند ابن خلدون ــ هو الكيفيـة التي طرح بهـا مسألة الدولة في « مقدمتـه » ٠ فهـل فهمها كما نفهمها نحن اليوم على أنهـا علم الدولة ، أو فـن حكم المجتمعات ؟ هـل درسهـا دراسـة وضعية أو تاريخية أو مقارنة ؟ أو تراه فهمها فهماً آخر مغـايراً ؟ ما المبادىء التي استند اليها ؟ وما الأفكار التي نادى بها ؟ وهل وقف عند حدود الوصف ، أو تعداها الى التوجيه والارشاد ؟ ان الاجابة عن هذه الأسئلة لا يمكن أن نقدمها قبـل عرض آرائـه في الدولة والسياسـة ٠ فعندئذ يحـق لنـا أن نرجح رأياً ، أو نجزم بفكرة ٠ لهذا لا بـد لنا من أن نشرع بتحديد المسائل التي سنتناولها في بحثنا هذا ؛ لنتمكن من تبني رأي محدد بهـذا الصدد ٠

أما المسألة الأولى التي سنشرع في تناولها ، فتتعلق بنشأة الدولة في المجتمع ، وما يرافقها من سلطة ، وارتباط ذلك بالعصبية والرئاسة والتغلب في المجتمعين البدوي والحضري ؛ لكي ننتقل من بعد الى مسألة الدولة ذاتها ؛ فنتكلم على نطاقها وأجيالها المتعاقبة وشأوها الذي تبلغه ؛ في سبيل النظر الى مسألة جبايتها وتأثير هذه الجباية في ازدهارها من ناحية، وفي اضمحلالها من ناحية أخرى .

١ ــ نشأة الدولة

قبل أن نعرض لرأي ابن خلدون في نشوء الدولة ، لا بد لنا من أن نضع نصب أعيننا الرأي الذي انتدب نفسه لمعارضته ، والذي يسميه رأي الفلاسفة . لقد لاحظ هو نفسه اختلافه في الرأي عن الرأي الذي كان سائداً في مجتمعه ، والذي يرد نشوء الدولة والسلطة الى الشرع المفروض من عند الله . لهذا فاننا سنبدأ بعرض هذا الرأي ، قبل عرض نظرية ابن خلدون .

(١) الرأي الشائع في الدولة: ينسب ابن خلدون هذا الرأي الى الفلاسفة ؛ مع أننا نعلم أن هناك آراء كثيرة مختلفة في نشوء الدولة ؛ ولا ندري لماذا فعل ذلك . ولكن لنتجاوز هذا ، ونبدأ بعرض هذا الرأي اعتماداً على عرض ابن خلدون له . انه يبدأ بعرضه لكي يعقب عليه بالنقد والتفنيد . يقول : « وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان ؛ حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي ؛ وانها خاصة طبيعية للانسان ؛ فيقررون هذا البرهان الى غايته ؛ وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع . ثم يقولون بعد ذلك : وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ؛ يأتي به واحد من البشر ؛ وأنه لا بد من أن يكون متميزاً عنهم ؛ بما يودع الله فيه من خواص هدايته ؛ ليقع التسليم له والقبول منه ؛ حتى يتم الحكم فيهم وعليهم ، من غير انكار ولا تزييف(٢) » .

ولا يكاد ابن خلدون يصل الى هذا الحد مما دعاه رأي الفلاسفة ، حتى ينبري لتفنيده قائلاً : « وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه ؛ اذ ان الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك ؛ بما يفرضه الحاكم لنفسه ، أو بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته : فأهل الكتاب والمتبعون للأنبياء قليلون بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب ؛ فانهم أكثر أهل العالم ؛ ومع ذلك ، فقد كانت لهم الدولة والآثار فضلاً عن الحياة . وكذلك هي لهم لهذا العهد ، في الأقاليم المنحرفة في الشمال والجنوب ، بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة ، فانه يمتنع(٣) » .

وهذا يعني ، أن نشوء السلطة ملازم للحياة الاجتماعية ، مرتبط بها ارتباطاً طبيعياً . ولهذا رفض ابن خلدون رد نشوء السلطة الى الشرع المفروض من عند الله ؛ ولجأ الى تفسير اجتماعي وضعي . فما هذا التفسير ؟

(٢) **نظرية ابن خلدون في السلطـة :** يرى ابن خلدون أن المجتمعات البشرية تنشأ عن حاجتين أساسيتين هما الحاجة الى التعاون على تحصيل الغذاء ، والحاجة الى الدفاع عن النفس(٤) • ان هاتين الحاجتين هما اللتـان تحوجان الى السلطـة التي تتطلب الرئاسـة والغلبة في مرحلة البداوة ، والتي تؤدي الى تأسيس الدولة في مرحلة تجاوز البداوة الى الحضـارة •

آ ـ **الاجتماع والسلطة :** وهذا يعني ،أن السلطة ضـرورة مـن ضرورات الحيـاة الاجتماعية ، وأن تملكها وسيلة لاقامة الدولة •

والحقيقة، أن السلطة تنشأ نشأة طبيعية بمجرد اجتماع البشر ، وقيام العمران • وهذا رأي تفرد به ابن خلدون عن معاصريه الذين يذهبون الى أن الحكم يكون بشرع مفروض مـن عند الله : فالاجتماع لا يكـاد يحصل ،والعمران لا يكاد يتم ، حتى تنشأ الحاجة الى السلطة؛ فالسلطة ضرورة من ضرورات الحياة المشتركة في المجتمع؛ كما أن الاجتماع ضرورة مـن ضرورات وجـود الانسان واستمراره :فالانسان الذي اتخذ مـن السلاح وسيلة له ، للدفاع عـن نفسه ضد الحيوانات العجـم ،لا يلبث أن يستخدمه ضد أخيه الانسان ؛ اذا ما قام بينه وبينه نزاع لأتفه الأسباب ؛ ولايمكن أن يزعه عـن ذلك غـير السلطـان • يقـول ابن خلدون في ذلك : « ثـم ان هـذا الاجتماع ، اذا حصل للبشـر كما قررناه ، وتم عمران العالم بهم ؛ فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ؛ لمـا في طباعهم الحيوانية مـن العدوان والظلم(٥) » •

واذا تساءلنا عن سـر ذلك ، أجابنا ابن خلدون ، ان في طباعهم عدوان الحيوان ، ومن ظلم الانسان لأخيـه الانسان • واذا كانـوا يتفوقون على الحيوان ، بما لديهم من أسلحة يشهرونها في وجهه ؛ فهم فيما بينهم سواء في امتلاك هـذه الأسلحة واستخدامها ؛ ويمكن لكل منهم، أن يفني بها من يشاء من خصومه • ولا يمكن ترك هـذا يحـدث؛ فهو اذا حدث واستشرى ، أصبـح كارثـة تنزل بالنـوع الانساني ، وتهدد بقاءه ؛ ولا بد لدفعها من قيـام سلطة تضع الأمر في نصابه ؛ وتمنـع المعتدي عن عدوانه ؛ وتعاقبه عليه اذا قام به • وهـذا ما أشار اليه ابن خلدون بوضـوح ،حينما قال : « وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوان العجم عنهم ، كافية في دفع العدوان منهم لأنها موجودة لجميعهم • فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ؛ ولا يكون مـن غيرهم ؛ لقصور جميع الحيوان عن مداركهم والهاماتهم ؛ فيكون ذلك الوازع واحداً منهم ، يكون له عليهم الغلبـة والسلطان واليد القاهرة ؛ حتى لا يصل أحد الى غيره بعدوان(٦) » •

واذن ، فالسلطة نابعة من صميم الحياة الاجتماعية ؛ وهي تتم بمـا يفرضه الحـكم لنفسه من غلبة ، أو بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على طاعتـه ، والسير في الاتجاه الذي يرسمه الهـم(٧) •

ب ـ **السلطة والملك :** لكن السلطة لا تقتصر على ذاتها ؛ فهي الطريق الى الملك ؛ ان لم تكن هي والملك توأمين • انها خصوصية الانسان التي جعلت الغلبة والسلطان واليـد

القاهرة مفضية الى الملك ؛ وهذا الافضاء طبيعي في رأي ابن خلدون · ولهذا فهو يعقب على كلامه السابق قائلا : « وهو هو معنى الملك ؛ وقد تبين لك بهذا أنه خاصة للانسان طبيعية ؛ ولا بد منها(٨) » ·

ولكن ، اذا كان نشوء السلطة طبيعياً ، فما الذي يجعلها في يد هذه الفئة من الناس دون تلك ، وبرئاسة واحد منهم دونهم جميعاً؟لكي يفسر لنا ابن خلدون ذلك ، يلجأ الى نظريته في العصبية ؛ فيرى أن الرئاسة تكون لأصحاب العصبية الأقوى · بيد أن نظرية العصبية ذات علاقة بنشوء المجتمعات ، ابتداءمن المجتمع البدوي حتى المجتمع الحضري · لهذا لا بد لنا من أن نبدأ بالنظر الى هذين النوعين من المجتمعات ·

٢ ـ العمران البشري والعصبية

لكن ، اذا كان الاجتماع الانساني طبيعياً ، كما يقول ابن خلدون ، فكيف يكون الترابط بين أفراده ، والأفراد ـ كما قال ـ قد يعدو بعضهم على بعض ؟ لقد قلنا : ان السلطة هي التي تمنعهم من ذلك · وهنا يتبادر الى أذهاننا السؤال عن سند هذه السلطة ، ما دام صاحب السلطة فرداً من الأفراد ، أو جماعة صغيرة منهم ! لتفسير ذلك يلجأ ابن خلدون الى نظريته في العصبية التي يراها ضرورية لقيام الملك، لا سيما في بدايته أعني المجتمع البدوي · فما العصبية ؟

آ ـ **مفهوم العصبية** : يقول ابن خلدون: « ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه ؛ وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر الا في الأقل · ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة ؛ فان القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه؛ ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك : نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا · فاذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريباً جداً ، بحيث حصل به الاتحاد والالتحام، كانت الوصلة ظاهرة ، فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها ؛ واذا بعد النسب بعض الشيء ، فربما تنوسي بعضها ، ويبقى منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه ، فراراً من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه(٩) » ·

واذا كان هذا معنى العصبية ، فلننظر الى آثرها في العمران البدوي والحضري ·

ب ـ **العمران البدوي والعصبية** : يرى ابن خلدون أن للعصبية أهمية عظيمة في حياة سكان البوادي ؛ فهي التي تمكنهم من سكنى البوادي(١٠) ؛ كما تمكن أصحابها الحقيقيين من تسلم مقاليد الرئاسة التي تنتهي الى تأسيس الدولة وامتلاك الرقاب · يشرح ابن خلدون ذلك قائلاً : « والرياسة انما تكون في نصاب واحد منهم ؛ ولا تكون في الكل · ولما كانت الرياسة انما تكون بالغلب، وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ؛ ليقع الغلب بها ؛ وتتم الرياسة لأهلها · فاذا وجب ذلك ، تعين أن الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب المخصوص بأهل الغلب عليهم ؛ اذ لو خرجت

عنهم ، وصارت في العصائب الأخرى النازلة من عصابتهم في الغلب ، لما تمت لهم الرياسة ٠ فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم الى فرع ، ولا تنتقل الا الى الفرع الأقوى من فروعه ، لما قلناه من سر الغلب ؛ لأن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج في التكون ، والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت العناصر ؛ فلا بد من غلبة أحدها ؛ والا لم يتم التكوين ٠ فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية (١١) » ٠

وهذا يعني ، أن ذوي العصبية ، حينما تضعف عصبيتهم ، ينحون عن الرياسة ، ويفقدون ملكهم ، وتؤول الدولة الى غيرهم من ذوي العصبية القوية التي تخرج عليهم ، وتهدم ملكهم ، وتؤسس لها ملكاً خاصاً بها ٠ يقول ابن خلدون في ذلك : « وأول كل شرف خارجية كما قيل ؛ وهي الخروج على الرياسة والشرف الى الضعة والابتذال وعدم الحسب ؛ ومعناه أن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه ، شأن كل محدث (١٢) » ٠

والكن هذا لا يحدث الا في أربعة آباء ٠ فعند الأب الرابع تضعف العصبية ، ويؤدي ضعفها الى زوال الملك والغلبة ٠ يصف ابن خلدون ذلك ، فيقول : « ثم اذا جاء الرابع ، قصر عن طريقتهم جملة ، وأضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها ؛ وتوهم أن ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف ، وانما هو أمر وجب لهم منذ أول النشأة ، بمجرد انتسابهم ، وليس بعصابة ولا بخلال ، لما يرى من التجلة بين الناس ؛ ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ؛ ويتوهم أنه النسب فقط ٠ فيربأ بنفسه عن أهل عصبيته ، ويرى الفضل له عليهم ، وثوقاً بما فيه من استتباعهم ، وجهلاً بما أوجب ذلك الاستتباع من الخلال ، التي منها التواضع لهم ، والأخذ بمجامع قلوبهم ، فيحتقرهم بذلك ؛ فينغصون عليه ، ويحتقرونه ، ويديلون منه سواه من أهل ذلك المنبت ، ومن فروعه في ذلك العقب ، للاذعان لعصبيتهم كما قلناه ، بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله ٠ فتنمو فروع هذا ، وتذوي فروع الأول ، ويهدم بناء بيته ٠ هذا في الملوك ٠ وهكذا في بيوت القبائل والأمراء وأهل العصبية أجمع ؛ ثم في بيوت أهل الأمصار (١٣) » ٠

ومن هذا نرى ، أن قيمة العصبية قيمة وظيفية : فهي تقوم بوظيفة الدفاع عن المجتمع البدوي ، وبوظيفة دعم أصحابها في رئاسة القوم ، ثم الحصول على الملك وتأسيس الدولة ٠ وهي من هذه الناحية ذات أثر كبير في بقاء الجماعة واستمرارها من طور البداوة الى طور الحضارة والملك ٠

جـ ـ العمران البدوي والحضري : ان حياة أهل البادية تختلف عن حياة أهل المدن ، من حيث دفع عدوان الناس بعضهم عن بعض ، ضمن المجتمع الواحد ، ومن حيث دفع عدوان الناس الذين خارج المجتمع عن أولئك الذين هم داخله ٠

أما عدوان الناس بعضهم على بعض ، داخل المدينة ، فيدفعه الحكام وأصحاب السلطان ، في حين أن عدوانهم بعضهم على بعض داخل القبيلة أو العشيرة ، انما يدفعه مشايخ البدو وكبراؤهم ٠ وفي الحين الذي يلجأ الحكام الى القهر والسلطان ، لدفع ظلم فئة من الناس لفئة أخرى ، يلجأ مشايخ البدو وكبراؤهم الى ما لهم من تجلة ووقار في

نفوس أفـــراد قبائلهم أو عشائرهم ، لبلوغ هذه الغاية · يصف ابن خلدون ذلك فيقول : « فأما المدن والأمصار ، فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتهم مـــن الكافة ، ان يمتد بعضهم على بعض ، أو يعـــدو عليـــه · فانهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم ، الا اذا كان من الحاكم بنفسه · وأما العدوان الذي من خارج المدينة ، فيدفعه سياج الأسوار عند الغفلة أو الغرة ليلاً ، أو العجز عن المقاومة نهاراً ؛ أو يدفعـــه ذياد الحامية مـــن أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة · وأما أحياء البـــدو فيزع بعضهم عـــن بعض مشايخهـــم وكبراؤهم ، بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة · وأما حللهم فانما يذود عنها من خارج حاميـــة الحي من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم · ولا يصدق دفاعهم وذيادهم الا اذا كانوا عصبيـــة وأهـــل نسب واحـــد ؛ لأنهم بذلك تشتد شوكتهـــم ويخشى جانبهـــم ؛ اذ نعرة كـــل أحـــد على نسبـــه وعصبيتـــه أهـــم(١٤) » ·

بيد أن العصبية التي تبدو تجلة ووقاراً داخل المجتمع البدوي ، تسفر عن وجهها أتم الاسفار ، اذا كان العدوان آتيـــاً مـــن خارج المجتمع ؛ وبهذا يختلف المجتمع البدوي عـــن المجتمع الحضري أتم الاختلاف ·

وخلافاً لذلك ، فان مـــن لا عصبية لهم لا يمكنهم سكنى البـــادية ؛ لأن الملمات حينما تلم بهم ، لا يجدون من يساعدهم على دفعها عنهـــم ؛ وليس بامكانهم أن يعتمدوا على أي شخص فيها · يصفهم ابن خلدون فيقول : « وأما المتفردون في أنسابهم ، فقلَّ أن تصيب أحـــداً منهم نعرة على صاحبـــه · فاذا أظلم الجو بالشر يوم الحرب ، تسلل كل واحد منهم يبغي النجـــاة لنفسه ؛ خيفة واستيحاشاً مـــن التخاذل ، فلا يقدرون من أجل ذلك على سكنى القفر ؛ لما أنهم حينئذ طعمة لمن يلتهمهم من الأمم سواهم(١٥) » ·

٣ ــ العصبيـــة والدولة والعمران

(١) العمران والرئاسة : وهكذا نجد أن السلطة والدولة يسبقـــان قيـــام الحضـــارة واختطاط المـــدن لدى ابن خلـــدون · وبهـــذا الصدد يقـــول : « ان الدول أقـــدم من المدن والأمصار ؛ وأنها انما توجد ثانية عن الملك ؛ وبيانه أن البنـــاء واختطاط المنازل انما هو مـــن منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة · وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها · وأيضـــاً فالمدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمـــة وبنـــاء كبير ؛ وهي موضوعة للعموم لا للخصوص ؛ فتحتـــاج الى اجتماع الأيـــدي وكثرة التعاون ؛ وليست من الأمور الضرورية للنـــاس التي تعـــم بهـــا البلوى ، حتى يكون نزوعهم اليها اضطراراً ؛ بل لا بد من اكراههم على ذلك ، وسوقهم اليـــه مضطهدين بعصـــا الملك ، أو مرغبين في الثواب والأجر ، الذي لا يفي بكثرته الا الملك والدولة ؛ فلا بد في تمصير الأمصار ، واختطاط المدن ، من الدولة والملـــك(١٦) » ·

وهذا يعني ، ان الرئاسة ليست مرتبطة ضرورة بالدولة التي هي نتاج حضاري ؛ بل قد سبقتها ، كما هي الحال بالنسبة الى حياة البداوة في سبقها لحياة الحضارة ؛ اذ ان العصبية هي لحمة الرئاسة وسداها · يقول ابن خلدون شارحاً ذلك : « ان كل حي أو بطن من القبائل ، وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ، ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاماً من النسب العام لهم ، مثل عشير واحد ، أو أهل بيت واحد ، أو اخوة بني أب واحد ؛ لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين · فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص ، ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام · والنعرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام ؛ الا أنها في النسب الخاص أشد ، لقرب اللحمة · والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ، ولا تكون في الكل(١٧) » ·

والرئاسة في رأي ابن خلدون تقوم بوظيفة هامة في المجتمع ؛ اذ ان مهمتها الأساسية هي ايجاد التكافؤ بين العناصر المختلفة ، بتغلبها عليها جميعاً : انها بمثابة المزاج في المتكون الذي لا بد من طغيان أحد عناصره على العناصر الأخرى · وبهذا الصدد يقول ابن خلدون : « لأن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج في المتكون ؛ والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت العناصر ؛ فلا بد من غلبة أحدها والا لم يتم التكوين · فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ؛ ومنه يقين استمرار الرياسة في النصاب المخصوص بها(١٨) » ·

أما أولئك الذين لا أنساب لهم ، ولا عصبية تتأتى عن هذه الأنساب ، فلا يمكن لهم أن يصبحوا من ذوي الرئاسة ؛ لأن هذه انما تكون لذوي الغلب كما قلنا · ومع ذلك ، فان الزمان قد يعفي على أصل أنساب اللصقاء واللزقاء ، ويسلم اليهم رئاسة القبيلة أو البطن أو الحي · لكن ذلك لا يكون الا اذا اندمجوا في احدى العصبيات ، وأصبحوا من ذويها وأهلها · يقول ابن خلدون شارحاً رأيه في ذلك : « والساقط في نسبهم بالجملة ، لا تكون له عصبية فيهم بالنسب ؛ انما هو ملصق لزيق ؛ وغاية التعصب له بالولاء والحلف · وذلك لا يوجب له غلباً عليهم البتة · واذا فرضنا أنه قد التحم بهم واختلط ، وتنوسي عهده الأول من الالتصاق ، ولبس جلدتهم ، ودعي بنسبهم ؛ فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام ، أو لأحد من سلفه ؟ (١٩) » ·

وهذا يرينا الى أي حد تعمل العصبية في تعضيد الرئاسة والحفاظ على استمرارها ·

(٢) الرئاسة والملك : يفرق ابن خلدون بين الرئاسة والملك ؛ وتفريقه بينهما قائم على التفريق بين نوعين من الغلب ، أحدهما خاص بالرئاسة ، والثاني خاص بالملك · وهو يرى أن التغلب في الرئاسة سؤدد يؤدي بصاحبه الى أن يكون متبوعاً ، دون أن يكون له قهر في أحكامه يلزم الناس به الزاماً ؛ في حين أن التغلب في الملك هو الحكم بالقهر والزام الناس بهذا الحكم · ومن هنا كان الحكم بالقهر هو الذي يزيد به الملك على الرئاسة(٢٠) ·

واذا كانت الرئاسة نتيجة العصبية ، كان الملك نتيجة لها أيضاً ؛ ولكن بدرجة أعلى من درجة الرئاسة · بيد أن الانتقال من الدرجه الأولى الى الدرجة الثانية أمر تقتضيه

طبيعة النفس الانسانية ؛ اذ النفس مولعة بفرض سلطانها على الآخرين من ناحية، وهي كلما بلغت في أحد الأمور رتبة ، صبت الى الرتبة التي تليها فيه ، من ناحية أخرى . لكنها تظل عاجزة عن بلوغ ذلك بذاتها ، ولايتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي تبلغ غايتها بالتغلب الملكي(٢١) .

ومتى لجأ صاحب العصبية الى استتباع العصبيات الأخرى بالقوة والقهر ، جعلها تلتحم في عصبيته ، وتصير واياها عصبية واحدة كبيرة . وفي هذه الحال ، يدفع عن هذه العصبيات الافتراق المفضي الى التنازع والتخاصم .

بيد أن منطق العصبية لا يقف عند هذا الحد ؛ بل يتابع نتائجه الى أقصى حدودها : فلا يكاد صاحب العصبية يتغلب بعصبيته على قومه ، حتى يلقي بأنظاره الى أهل العصبيات الاخرى البعيدة عن عصبيته . فاذا كانت العصبيتان متكافئتين ، لم تستطع احداهما التغلب على الأخرى ؛ وظلت كل منهما باسطة يدها على قومها ، قانعة الى حين بمكانتها . أما اذا كانت احداهما أقوى من الأخرى ، فانها تغلبها وتستتبعها وتلتحم بها : لتكون العصبيتان معاً عصبية واحدة أوسع نفوذاً ، وأشد بأساً . ثم لا تلبث بعد ذلك ، ان تتطلع الى العصبيات الأخرى . وهكذا تظل دائماً ، حتى تكافىء بقوتها قوة الدولة .

وعندما تصل العصبية الى هذا الحد من القوة ، تكون بازاء احتمالين : فهي اما أن تدرك الدولة في هرمها ، واما أن تدركها وهي ما زالت في قوتها ؛ وهي بحاجة الى الاستظهار بأهل العصبيات . في الحالة الاولى تستولي العصبية النامية على الدولة، وينتزع صاحبها الأمر من أيدي أصحابه ؛ ويصبح الملك كله لهذه العصبية وصاحبها . اما في الحالة الثانية ، فان الدولة ذاتها لا تلبث أن تنتظم هذه العصبيه في اوليائها ، تستظهر بها على اعدائها ، تستخدمها في تحقيق مقاصدها(٢٢) .

ولكن ، هل يمكن لهذه العصبية المستتبعة على هذا النحو ، أن تنتظر مدة من الزمن – وهي في قلب الدولة – لكي تستولي على الملك فيما بعد ؟ يرى ابن خلدون أن هم أهل العصبية – ليأسهم من انتزاع الحكم – تنصرف الى تحصيل الكسب والانغماس في النعيم ، والجنوح الى الدعة والسكون ؛ وفي ذلك كسر لحدة عصبيتهم . والحقيقة ، أن خصب العيش، والتأنق في المظاهر جميعاً ، والاستكثار من الكماليات ، لا تلبث أن تذهب بخشونة بداوتهم ، وتضعف من بسالتهم ، وتودي بأواصر عصبيتهم . ويأتي بنوهم على أعقابهم، ويذهبون الى ما ذهب اليه آباؤهم شوطاً بعيداً ؛ فتنقرض بذلك عصبيتهم تماماً ، بعد أن تناولها الضعف لدى آبائهم . وحينذاك يصبح هذا حائلاً دون بلوغ الملك ، الذي هو غاية العصبية(٢٣) .

(٣) العصبية والدولة : مما تقدم يمكننا أن نرى ، أن العصبية في أصل الدولة . ولكن هذا لا يعني أن يكون من المحتوم على العصبية أن تستمر باستمرار الدولة : اذ ان النفوس يصعب عليها الانقياد للدولة العامة في أول قيامها ؛ ولا يكون هذا الانقياد الا بقوة عظيمة

مـن الغلب والقهر • ولكن ، لا تكاد تنقضي حقبـة معينة مـن الزمن ، حتى تستقر أمور الدولة ، وتستقر الرئاسة معها في أهل النصاب المخصوص بالملك ، وتصبح حقاً لهم ولأولادهم وأحفادهم من بعدهم ؛ فيتوارثونها ويتوارثون الملك بتوارثها ، واحداً بعد واحد • وعندئذ ينسى الناس شأن الأولية ، وتستحكم الرئاسة لأهل ذلك النصاب ، ويرسخ في العقائد دين الانقياد لهـم ، والتسليم بغلبتهم وحكمهم ؛ ويقاتل الناس معهم على أمرهم ، قتالهم على العقائد الايمانية ؛ فلا يحتاجون من بعد الى كبير عصابة في أمرهم(٢٤) •

في هـذا الدور تخمد ثورة العصبية ، وتنكسر حدتها ، ويلجأ أصحاب الملك الى الموالي والمصطنعـين يستظهرون بهـم حينـاً ، والى العصائب الخارجين على نسبها ، الداخلين في ولايتها حيناً آخر • وبذلك تستقر الدولة ، ويستتب الأمر لأصحاب الملك ؛ فيصبحون هم المرموقين من سائر الناس ؛ ويتخذون قدوة في كل شيء(٢٥) •

بيد أن استقرار الأمور في أيدي فئة من الناس ، يجعلهم في مكان المتفوقين الغالبـين ؛ ويصبح مكانهم هـذا معترفاً به في الغالبية العظمى من الفئات الأخرى • وهذا يعني ، أن التغلب كف عن أن يكون تغلباً من الخارج ، وأصبح تغلبـاً يغزو النفوس مـن الداخل ؛ ويزين للمغلوبين كل ما لدى الغالب من عوائد ومذاهب • وهذا يؤدي الى تشبه المغلوب دائماً بالغالب ؛ فيقلده في ملبسه ومركبه وسلاحه ؛ ولا يقتصر تقليده هـذا على اتخاذ ما يتخذه الغالب منها ؛ بل يتعـدى ذلك الى أنواعهـا وأشكالها وسائر صفاتهـا(٢٦) • ويعلل ابن خلدون ذلك قائـلاً : « والسبب في ذلك ، أن النفس تعتقد الكمال في مـن غلبها وانقادت اليه • اما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ، أو لمـا تغالط به مـن أن انقيادها ليس لغلب طبيعي ، انما هو لكمال الغالب • فاذا غالطت بذلك ، واتصـل لهـا ، حصـل اعتقـاداً ؛ فانتحلت جميـع مذاهب الغالب ، وتشبهت به ؛ وذلك هو الاقتداء(٢٧) » •

٤ ـ نطاق الدولة وعمرها

ولكن للدولة امتداداً معيناً في المكان والزمان ؛ لأن لها حدوداً تتسع أو تضيق بحسب قوتهـا ؛ وأجيـالاً معينة تمر بهـا وتحتفظ لنفسها بها بالاستمرار • وسنحاول في الصفحات التاليـة أن نبينهـا •

(١) نطاق الدولة : ان لكل دولة نطاقاً معيناً يبلغ أقصى اتساعه ؛ لكي يأخذ بالتضايق شيئاً فشيئاً ، حتى يصل الى غاية اضمحلاله •

آ ـ اتساع الدولة : يرى ابن خلدون أن الدولة تستمر آخذة في الاتساع ، الى أن تبلغ غايـة محدودة تقف عنـدها ، ولا تستطيـع تجاوزها • وهو يعلل ذلك ؛ بأن عصابة الدولة تكون محدودة ، وقوتها مـن ثمـة محدودة ؛ فيقول : « والسبب في ذلك ، أن عصابة الدولة وقومها القائمين بها ، الممهدين لها ، لا بـد من توزيعهم خصيصاً على الممالك والثغـور التي تصير اليهم ، ويستولون عليها ، لحمايتها من العدو ، وامضاء أحكام الدولة فيها ، من

جباية وردع وغير ذلك، فاذا توزعت العصائب كلها على الثغور والممالك ، فلا بـد من نفاذ عددها ؛ وقـد بلغت الممالك حينئذ الى حـد يكون ثغراً للدولة ، وتخماً لوطنها ، ونطاقاً لمركز ملكها • فان تكلفت الدولة بعد ذلك ،زيادة على ما بيدها ، بقي دون حامية ، وكان موضعاً لانتهاز الفرصة من العدو المجاور(٢٨)» •

أما اذا كانت عصـابة الدولـة ما تزال موفورة ، فيمكن استخدامها في فتوح جديدة ، واستعمالها على ثغور ونواح جديدة ، نتيجة هـذه الفتوح • وهـذا يعني ، أنه ما دام لدى الدولة قوة على تجاوز حدودها ، وعلى حماية مكتسباتها ، فانها تظل تفسح من نطاقها ، الى أن تصل الى غايتها • حتى اذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية ، عجزت وأقصرت عما وراءه ، شـأن الأشعة والأنوار اذا انبعثت مـن المراكز والدوائر المنفسحة على سطح الماء ، من النقر عليـه(٢٩) •

ومن هنا كان اختلاف اتساع نطاق الدول عائداً الى اختلاف عدد عصاباتهم : فالدولة التي تكـون عصابتهـا أكثر ، يكـون اتساع نطاقها أبعد ؛ وعلى نسبة العدد تكون نسبة الاتساع ، يقول ابن خلدون : « وأهل العصبية هم الحاميـة الذين ينزلون بممالك الدولـة وأقطارها ؛ وينقسمون عليها ؛ فما كان مـن الدولة العامة قبيلها وأهـل عصابتها أكثر ، كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطاناً ؛ وكـان ملكها أوسع لذلك(٣٠) « ومن هذه النسبة في أعـداد المتغلبين لأول الملك ، يكون اتسـاع الدولة وقوتهـا(٣١) » •

بيـد أن اتسـاع الدولة لا يتوقف على هـذا العامل فقط ؛ بل يتعداه الى عامل آخر هو امتداد له • وهذا يعني ، أن أهل العصبية اذا استولوا على الملك ، أتيحت لهـم سـعة في العيش لم يكونوا يعرفونهـا ؛ فأدى ذلك الى كثرة تناسلهم ، وازدياد عصاباتهم التي يمكن استخدامها في حماية الثغور والنواحي(٣٢) • وعلى هذا النحو ، تزداد الدولة نمواً علـى نمـو ، واتساعاً على اتساع ، حتى تستنفـد طاقاتها جميعاً ، وتقف عند حدود لا تتعداها •

ب ــ **تضايق الدولة واضمحلالها** : بيد أن اتساع الدولة يظل في الأعم الأغلب تابعاً لدور البداوة ؛ في حين أن بدء توقف هـذا الاتساع ، ثم تضايقه فيما بعـد ، يرجع الى دور الحضارة ، حينما يبالغ الناس في انغماسهم في الترف والنعيم • وابن خلدون يشرح ذلك قائلاً : « وهذا كلـه حينما تكون الدولة في شعار البداوة وخشونة البأس • فاذا استفحل العـز والغلب ، وتوافرت النعـم والأرزاق بدرور الجبايات ، وزخر بحر الترف والحضارة ، ونشأت الأجيال على اعتياد ذلك لطفت أخلاق الحامية ، ورقت حواشيهم ، وعاد من ذلك الى نفوسهم هيئات الجبن والكسل ، بما يعانونه من خنث الحضارة المؤدي الى الانسلاخ مـن شعار البأس والرجولية ، بمفارقة البـداوة وخشونتهـا ، وبأخذهم العز بالتطاول الى الرياسة والتنازع عليهـا(٣٣) » •

وهذا الانتقال طبيعي بالنسبة الى الدول ؛ وطور الحضارة تابـع بالضرورة لـدور البداوة ، جراء تبعية الرفه للملك • ويصف ابن خلدون الآلية التي يتبعها هذا الانتقال ، فيقول : « ان هـذه الأطوار طبيعية للدول • فان الغلب الذي يكـون به الملك ، انمـا هو

بالعصبية وما يتبعها من شدة البأس وتعودالافتراس ، ولا يكون ذلك غالباً الا مع البداوة ؛ فطور الدولة من أولها بداوة • ثم اذا حصل الملك، تبعه الترف واتساع الأحوال، والحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه ؛ من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله ؛ فلكل واحد فيها صنائع في استجادته والتأنق فيه ، تختص به ، ويتلو بعضها بعضاً ؛ وتتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف ؛ وما تتلون به من العوائد ؛ فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة ، لضرورة تبعية الرفه للملك(٣٤) » •

أما سبب هذا التحول ، فيرجع الى محاولة أهل الدولة الجديدة تقليد أهل الدولة السابقة في الترف والبذخ(٣٥) • بيد أن ذلك لا يلبث أن يبذر بينهم بذور الشقاق ، ويؤدي الى تقاتلهم ، وذهاب أكابرهم ورؤسائهم ، مما من شأنه أن يضعف الحامية • يقول ابن خلدون في ذلك : « فيفضي الى قتل بعضهم بعضهم ، ويكبحهم السلطان عن ذلك ، بما يؤدي الى قتل أكابرهم واهلاك رؤسائهم ؛ فتفقد الأمراء والكبراء ، ويكثر التابع والمرؤوس ، فيفل ذلك من حد الدولة ، ويكسر شوكتها ؛ ويقع الخلل الأول في الدولة، وهو الذي من جهة الجند والحامية(٣٦) » •

لكن الشر لا يأتي من هذه الجهة وحدها؛ بل تشارك فيه زيادة النفقات على الموارد ؛ فتقع الدولة في العجز ، يشرح ابن خلدون ذلك قائلاً: « ويساوق ذلك السرف في النفقات، بما يعتريهم من أبهة العز ، وتجاوز الحد بالبذخ ، بالمناغاة في المطاعم والملابس ، وتشييد القصور ، واستجادة السلاح ، وارتباط الخيول ؛ فيقصر دخل الدولة حينئذ عن خرجها ، ويطرق الخلل الثاني في الدولة، وهو الذي من جهة المال والجباية(٣٧) » •

وفي هذه الحال ، لا بد لهم من أن يستنفدوا قواهم في ذلك؛ فيطمع فيهم أعداؤهم، ويتطلعون الى انتزاع ملكهم ، والاستيلاء على دولتهم • يقول ابن خلدون : « وربما تنافس رؤساؤهم فتنازعوا ، وعجزوا عن مغالبة المجاورين والمنازعين ومدافعتهم • وربما اعتز أهل الثغور والأطراف بما يحسونه من ضعف صاحب الدولة وراءهم؛ فيصيرون الى الاستقلال والاستيلاء بما في أيديهم من العمالات ؛ ويعجز صاحب الدولة عن حملهم على الجادة ؛ فيضيق نطاق الدولة عما كانت انتهت اليه من أولها ، وترجع العناية في تدبيرها بنطاق دونه(٣٨) » •

وهذا يعني ، ان الدولة تبدأ بفقدان بعض أجزائها • ولكن هذا الفقدان لا يكون جزافاً ؛ بل يتبع سيراً معيناً ؛ اذ ان التناقص يبدأ من جهة الأطراف ؛ فيظل المركز محفوظاً(٣٩) • ولا تكاد الدولة تفقد بعض ثغورها ونواحيها، حتى تتقلص رقعتها، وتصبح لها ثغور ونواح جديدة في نطاق أضيق من النطاق الأول • وعندئذ تتعرض هذه الثغور والنواحي الجديدة لما تعرضت له الثغور والنواحي القديمة من قبل ؛ وتقل أموال الجباية مرة أخرى(٤٠) • وتظل تتناقص على هذا النحو ، الى أن تغلب على مركزها • وعندئذ تكون نهايتها ؛ لأن المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح • فاذا غلب القلب وملك ، انهزم جميع الأطراف(٤١) •

(٢) **عمر الدولة وأجيالها** : رأينا كيف تتسع الدولة ثم تضيق في المكان : ونريد أن ننظر الآن الى العمر الذي تقتضيه ، والاجيال التي تتعاقب عليها في الزمان . فكما ان للدولة اتساعا محدوداً يبلغه نطاقها ، كذلك لها عمر معين يمتد اليه اجلها .

ا ــ **عمر الدولة** : يرى ابن خلدون ان عمر الدولة مرتبط أيضا بعدد الحامية التي تناصر الدولة بالعصبية ؛ لأن العصبية القوية تبقى مدة أطول على الدهر . يقول شارحا ذلك : « على ان هذه النسبة في اعداد المتغلبين، لاول الملك يكون اتساع الدولة وقوتها . واما طول أمدها أيضا ، فعلى تلك النسبة ؛ لأن عمر الحادث من قوة مزاجه ؛ ومزاج الدولة انما هو بالعصبية ، فاذا كانت العصبية قوية، كان المزاج تابعا لها ، وكان أمد العمر طويلا . والعصبية انما هي بكثرة العدد ووفوره(٤٢) » .

ولكن ، كيف يحدث ذلك ؟ ان ابن خلدون يلجأ هنا أيضا الى نظريته في أطراف الدولة ؛ فيعلل بها طول أمدها : فالدولة مترامية الأطراف تحتاج الى آماد نقص كثيرة ، قبل أن تفقد سائر ممالكها وتضمحل ؛ في حين أن الدولة ضيقة الاتساع تحتاج الى آماد نقص اقل ، فتضمحل في زمن أقصر ؛ فعلى نسبة الاتساع يكون أمد البقاء بالنسبة الى الدول . وهو يعلل ذلك قائلاً : « والسبب الصحيح في ذلك ، ان النقص انما يبدو في الدولة من الأطراف . فاذا كانت ممالكها كثيرة ، كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة ؛ وكل نقص يقع فلا بد له من زمن ؛ فتكثر أزمان النقص لكثرة الممالك ، واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان ؛ فيكون أمدها طويلا(٤٣) » .

كذلك فان الانغماس في الترف والنعيم، سبب من أسباب تقصير عمر الدولة ؛ اذ ان الناس يزدادون حرصاً على الحياة ، ويحسبون كل عطاء من السلطان نتيجة لمعونتهم له . ويبدو هذا واضحاً في الجيل الثاني أكثر منه في الجيل الأول ، وفي الجيل الثالث أكثر منه في الجيل الثاني ؛ وهكذا ...(٤٤) .

وليس الانغماس في الترف والنعيم سبباً في تقصير عمر الدولة من هذا الوجه فحسب؛ بل انه سبب في تقصير عمرها من وجه آخر ؛ وهو ما يثيره في النفوس من طمع بعضها ، يقول ابن خلدون في وصف ذلك : « الوجه الثاني ان طبيعة الملك تقتضي الترف ... فتكثر عوائدهم، وتزيد نفقاتهم على أعطياتهم، ولا يفي دخلهم بخرجهم : فالفقير منهم يهلك، والمترف يستغرق عطاءه بترفه . ثم يزداد ذلك في أجيالهم المتأخرة ، الى أن يقصر العطاء كله عن الترف وعوائده ؛ وتمسهم الحاجة ، وتطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحرب ؛ فلا يجدون وليجة عنها ؛ فيوقعون بهم العقوبات ؛ وينتزعون ما في أيدي الكثير منهم ، يستأثرون به عليهم ، أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم ؛ فيضعفونهم لذلك عن اقامة أحوالهم ، ويضعف صاحب الدولة بضعفهم . وأيضاً ، اذا كثر الترف في الدولة، وصار عطاؤهم مقصراً عن حاجاتهم ونفقاتهم، احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في أعطياتهم ، حتى يسد خللهم ، ويزيح عنهم . والجباية مقدار معلوم ، لا تزيد ولا تنقص ؛ ان زادت بما يستحدث من المكوس ، فيصير مقدارها بعد الزيادة محدوداً(٤٥) » .

وعندئذ تضعف الحماية ، وتسقط قوة الدولة ، وتشرف على الهرم ، ويتجاسر عليها جيرانها من الدول ، أو من تحت يدها من العصائب والقبائل ؛ فيحل بها الفناء ، وتكون نهايتها(٤٦) ٠

واذا بلغت الدولة هذا المبلغ ، فليس لها من علاج لاطالة أمد حياتها ، الا أن تستعين بأنصار من الأمم الأخرى ، التي لا تزال معتادة شظف العيش وخشونة الحياة ؛ فيكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقها(٤٧) ، ولكن هؤلاء قد يكونون سبباً في زوال الدولة ، واغتصاب الملك ، يقول ابن خلدون:« اذا استقر الملك في نصاب معين ، ومنبت واحد من القبيل القائمين بالدولة ، وانفردوا به ، ودفعوا سائر القبيل عنه ، وتداوله بنوهم واحداً بعد واحد ، بحسب الترشيح ، فربما حدث التغلب على المنصب من وزرائهم وحاشيتهم ، وسببه في الأكثر ولاية صبي صغير مضعف من أصل المنبت ، يترشح للولاية بعهد أبيه ، أو بترشيح ذويه وطوله ؛ ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك ؛ فيقوم به كافله من وزراء أبيه وحاشيته ومواليه وقبيله ؛ ويورّي عنه بحفظ أمره عليه ، حتى يؤنس منه الاستبداد؛ ويجعل ذلك ذريعة للملك ؛ فيحجب الصبي عن الناس ، ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف أحواله ، ويسيمه في مراعيها متى أمكنه ، وينسيه النظر في الأمور السلطانية ، حتى يستبد عليه ٠ وهو بما عوده يعتقد أن حظ السلطان من الملك انما هو جلوس السرير ، واعطاء الصفقة ، وخطاب التهويل ، والقعود مع النساء خلف الحجاب ، وان الحل والربط ، والأمر والنهي ، ومباشرة الأحوال الملوكية ، وتفقدها من النظر في الجيش والمال والثغور ، انما هو للوزير ٠ ويسلم له في ذلك ، الى أن تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ؛ ويتحول الملك اليه ، ويؤثر به عشيرته ، وأبناءه من بعده(٤٨) » ٠

ب ـ **أجيال الدولة :** واذا كان هذا عمر الدولة ، وهو محدود بنهاية لا بد منها ، فانه موزع أيضاً على أربعة أجيال ، يمثل الرابع بينها فترة انقراضها ٠ أما الأجيال الثلاثة الأول فهي مدى عمرها الحقيقي ، الذي يكون لها فيه الغلب والقهر ٠

ولكن ، ماذا يعني ابن خلدون بالجيل ؟ وكم يمتد اذا شئنا أن نقيسه بالسنين ؟ بل بمعنى آخر ، كم يمتد عمر الدولة نفسها على حساب الزمن ؟ يجيب ابن خلدون عن ذلك قائلا: «لا أن الدولة ـ في الغالب ـ لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال ؛ والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط ؛ فيكون هو أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء الى غايته(٤٩) » ٠

وهذا يعني ، أن ابن خلدون يجعل عمر الجيل أربعين سنة ؛ وهو اذ يقدره هذا التقدير ، يجعل عمر الدولة مئة وعشرين سنة ؛ وهو دور العزة والمنعة الذي تنتقل منه الى الجيل الرابع الذي هو دور الهرم والاضمحلال ٠

وقد قسم ابن خلدون عمر الدولة الى ثلاثة أجيال ، لا لمجرد توارث الملك في الآباء الى الأبناء الى الأحفاد ؛ بل لأن كل جيل يختلف في أخلاقه وطرائق عيشه عن الجيل السابق عليه ٠ وهذا الاختلاف يمثل تطور الدولة من القوة الى الضعف ، ومن قسوة البداوة الى لين الحضارة ٠ لهذا كانت لكل جيل سمات معينة تميزه من الجيل السابق عليه من ناحية ، ومن الجيل اللاحق به ، من ناحية أخرى ٠

أما الجيل الأول فهو جيل البداوة والخشونة ؛ يصفه ابن خلدون فيقول : « لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوةوخشونتها وتوحشها ، من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد ؛فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم: فحدهم مرهف ، وجانبهم مرهوب ، والناس لهم مغلوبون(٥٠) » .

وأما الجيل الثاني فهو جيل الانتقال من البداوة الى الحضارة؛ ومن شظف العيش الى رخائه ونعيمه . ويصفه ابن خلدون فيقول : « والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والرفه من البداوة الى الحضارة ؛ ومن الشظف الى الترف والخصب؛ ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به ، وكسل الباقين عن السعي فيه ، ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة ؛ فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء؛ وتؤنس منهم المهانة والخضوع. ويبقى لهم الكثير من ذلك ، بما أدركوا الجيل الأول ، وباشروا أحوالهم ، وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجدة ومراميهم في المدافعة والحماية ؛ فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية ؛ وان ذهب منه ما ذهب ؛ ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول ، أو على ظن من وجودها فيهم(٥١) » .

واذا كان الجيل الثاني يمثل دور الانتقال من البداوة الى الحضارة ، فان الجيل الثالث هو جيل الحضارة والترف المبالغ فيه . يصفه ابن خلدون قائلاً : « وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ، ويفقدون حلاوة العز والعصبية ، بما فيهم من ملكة القهر ؛ ويبلغ فيهم الترف غايته ، بما تفنقوه من النعيم وغضارة العيش ؛ فيصيرون عيالاً على الدولة ، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم ؛ وتسقط العصبية بالجملة ، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ، ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة ، يموهون بها ؛ وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها . فاذا جاء المطالب لهم ، لم يقاوموا مدافعته(٥٢) » .

وعندئذ تنتقل الدولة الى الجيل الرابع ؛ وهو جيل الضعف والاضمحلال . بيد أن هذا لا يحدث في الظاهر في الحالات كلها ؛اذ ان الدولة قد تصل الى هذا الحد من الضعف والانهيار ، ولا يكون هناك من مطالب ولا طامع ؛ فتبقى قائمة في الظاهر ، مع أنها منخورة في الباطن . وهذا يعني ،أن عمر الدولة مئة وعشرين سنة ؛ فاذا لم يأت مطالب بها ، امتد الى أكثر من ذلك ،حتى يأتي المطالب . وبهذا الصدد يقول ابن خلدون : « وهذه الأجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على ما مرّ . ولا تعدو الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله أو بعده ، الا ان عرض لها عارض آخر من فقدان المطالب ؛ فيكون الهرم حاصلاً مستولياً ، والطالب لم يحضرها ؛ ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعاً(٥٣) » .

(٣) الجباية وتجارة السلطان : رأينا أن أجيال الدولة تنتقل من شظف العيش الى الترف والرفه ، ثم الى المبالغة في الترف والرفه ؛ وان هذا يستدعي من السلطان زيادة وزائع الجباية . ولكن السلطان ربما لا يكتفي بذلك، بل يعمد الى منافسة رعاياه في التجارة . وهذا في رأي ابن خلدون من بوادر انتهاء الملك وسقوط الدولة .

والحقيقة ، ان السلطان ربما لا يقنع بما تدره عليه الجباية من أموال ؛ فيسعى الى التجارة يتخذها – في زعمه – وسيلة لزيادة دخله · ولكن امتهان السلطان التجارة، لا يلبث أن يؤدي الى الاضرار بالرعايا من جهة ، والى افساد الجباية من جهة أخرى ؛ بل ان الضرر الذي يلحق بالرعايا جراء ذلك، يكون السبب المؤدي الى افساد الجباية في النهاية ، افساداً يؤدي بدوره الى افساد العمران والدولة · يقول ابن خلدون شارحاً ذلك : « وأعظم من ذلك في الظلم وافساد العمران والدولة ، التسلط على أموال الناس ، بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ، ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والاكراه في الشراء والبيع(٥٤) » · ويتابع كلامه قائلاً : « ويؤول ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ؛ ويتطرق الخلل على التدريج، ولا يشعر به(٥٥) » ·

ويرى ابن خلدون أن الظلم الواقع على أموال الناس يحدث في الأمصار جميعاً · ولكنه يظهر سريعاً في الأمصار الصغيرة قليلة السكان ، بما يخلفه وراءه من آثار الخراب ؛ ويخفى في الأمصار العظيمة كثيرة السكان ، ولا يظهر الا بعد حين · وبهذا الصدد يقول: « ولا تنظر في ذلك الى أن الاعتداء قد يوجد بالأمصار العظيمة من الدول التي بها ، ولم يقع فيها خراب(٥٦) » ·

ويعلل خفاء آثار الخراب الناتجة عن الظلم في الأمصار العظيمة على النحو التالي؛ فيقول : « ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل المصر · فلما كان المصر كبيراً ، وعمرانه كثيراً ، وأحواله متسعة بما لا ينحصر ، كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيراً ؛ لأن النقص انما يقع بالتدريج · فاذا خفي بكثرة الأحوال والأعمال في المصر ، لم يظهر أثره الا بعد حين(٥٧) » ·

بيد أن آثار الخراب الناتجة عن تجارة السلطان ، في العمران ، قد تظل خافية ، لحلول دولة جديدة مكان الدولة الظالمة · وبهذا الصدد يقول ابن خلدون : « وقد تذهب الدولة المعتدية من أصلها ، قبل خراب المصر ، وتجيء الدولة الأخرى ، فترفعه بجدتها ، وتجبر النقص الذي كان خفياً فيه؛ فلا يكاد يشعر به ؛ الا أن ذلك في القليل النادر(٥٨) » ·

وعلى هذا النحو ، يؤدي الظلم الى انهيار الدول وخراب العمران ؛ ويكون هذا الخراب ظاهراً حيناً ، وخفياً حيناً آخر ·

خاتمة : قيمة السياسة عند ابن خلدون

وبعد ، لا بد لنا من أن نتساءل في نهاية هذا البحث ، عن طبيعة العمل الذي قام ابن خلدون به ، وعن قيمته · أهو السياسة أم علم الاجتماع السياسي ؟ واذا كان هذا أو ذاك ، فأي حد بلغ ابن خلدون منه ؟

اننا نعتقد أن المباحث السياسية التي تطرق اليها أقرب الى علم الاجتماع السياسي، منها الى السياسة ؛ وان كنا لا ننكر أن هناك اشارات كثيرة مبعثرة هنا وهناك في هذه المباحث ، تدخل في علم السياسة حيناً ، وفي فن السياسة حيناً آخر • بيد أن مما لا شك فيه ، أن هذا وذاك انما حصلا عرضاً ، ولم يكونا مقصودين مباشرة منه • بل ان الحقيقة أعم من ذلك ؛ اذ ان ابن خلدون كان ينظر الى الظواهر المختلفة التي درسها ، من خلال علم العمران (الاجتماع) : فالتاريخ أراد أن يقيمه على أساس الاجتماع ؛ وكذلك الاقتصاد ؛ وكذلك التربية والتعليم • ولكن هذا لم يأتِ في غاية الاحكام؛ لأن ابن خلدون كان بصدد وضع أسس علم جديد يبدو في أول مرة • ولهذا لم يكن من الممكن له أن يحكم مسائله تمام الاحكام ؛ فيظل ضمن حدود العلم •

(ا) **شهادات الدارسين :** وهذا يجعلنا نرى أن ما قدمه في المباحث السياسية هو أقرب الى علم الاجتماع السياسي منه الى السياسة الخالصة • واننا اذ نقول ذلك نشاطر عالم الاجتماع الفرنسي غاستون بوتول رأيه ؛ اذ يقول : « كان يتوجب علينا أن ننتظر بعد القديس أوغسطين قرابة ألف عام ، لكي تظهر مؤلفات رئيسية في علم الاجتماع السياسي ، بعد فترات الاضطراب الناشئة عن غزوات البرابرة والعصر الوسيط الأعلى • لقد كتب المؤرخ التونسي ابن خلدون « مقدمته » في الفترة التي كانت فيها الحضارة العربية الزاهرة تتهاوى تحت ضربات التتر والتركمان والبربر والفرق المتعصبة ؛ ومؤلفه ذو نزعة تشاؤمية عميقة يتأمل انحطاط المتحضرين ، وانتصار البرابرة ، دون أن يحتفظ من الحكم الا بالوظيفة الطفيلية المميزة لنزعة الاستبداد الشرقية التقليدية(٥٩) » •

واذا كان علم الاجتماع السياسي هو الموضوع الغالب على المباحث السياسية في « المقدمة » ، كان لا بد لنا من أن نتساءل عن المدى الذي بلغه ابن خلدون في هذا العلم • هنا لا بد لنا من أن نلاحظ ، أن ابن خلدون لم يبلغ بهذا العلم شأوه الأخير الذي نعرفه عليه اليوم ؛ لأنه اقتصر ــ وما كانت له حيلة في ذلك ــ على التاريخ القديم وتاريخ المسلمين لعهده • وهذا رأي غاستون بوتول الذي يقول : « ولذا فان السنن التي عبر عنها ، مستنبطة مبدئياً من تاريخ افريقية الشمالية ، هذا القسم الذي بدا له وحده حياً في الحقيقة ، وهو القسم الذي جاب مسرحه وعرف ممثليه ؛ ثم من تاريخ بلاد اسلامية أخرى ، منذ الاسلام فقط على العموم • ومن شأن هذا الاعتبار تضييق عمومية تركيب المشروع من قبل هذا الفيلسوف ؛ ولكن مع تعيينه مداه في الوقت ذاته • ولذا فان نتائج المقدمة العامة تكون استقراءات ناشئة عن تأمل الأحوال التاريخية الخاصة بالدول العربية التي أسفر عنها الفتح الاسلامي ؛ ولا سيما دول افريقيا الشمالية(٦٠) » •

وهذا يعني ، أن ابن خلدون رأى موضوع هذا العلم بوضوح ؛ لكن من خلال تجربة زمانه ، ومن دون أن تبلغ الشمول العلمي اللازم • وهذه نقطة ليست لصالحه، الا اذا اقتصر علم الاجتماع على الناحية الوصفية ؛ وهو في حقيقة أمره ليس كذلك • كان لا بد لابن خلدون من أن يتجاوز المعطيات الحاضرة الى ما كان وما سيكون في

كل زمان ومكان ؛ ليتسنى له رؤية العلاقات الاجتماعية في كليتها • وهـذا ما لم يقم به على وجهه المطلوب • ولعلنا نجد عذراً له في ذلك ، انه كتب « مقدمته » على عجلة من أمره في غضون خمسة أشهر ، وهو متوارٍ في قلعة ابن سلامة •

واننا نحسن صنعاً لو ربطنا هـذا بنقطة أخرى كانت لصالحه ؛ وهي أنه عرف شروط البحث العلمي ، وأقام « مقدمته » على أساس منها • وهذا ما يشهد به الدكتور حامد عبدالله ربيع حين يقول: « فاول ما يجب أن نتذكره ، هو أن ابن خلدون ، بالطريقة التي تناول بها الظاهرة موضع الدراسة ؛ قد خلق طريقاً وضعياً للبحث العلمي(٦١) » • واذا كان الأمر كذلك ، حق لنا أن نطالبه بما طالبناه به •

لكن الدكتور محمد عبدالمعز نصر يرى أن ابن خلدون جمع في دراسة الدولة بين الطريقتين الوضعية والمعيارية • وهو في هذا يقول : « وعلى هذا النحو ، أخذ ابن خلدون يعالج الدولة في واقعها ، وفيما ينبغي أن تكون عليه ؛ مفصلاً القوانين التي تحكم عملها ، راسماً المقاييس التي يحكم بها عليها في الوقت نفسه ، ولقد وضع بهذا النظام الفلسفي السياسي الذي عرضه في « المقدمة » حول دراسته للدولة ، أسس علم السياسة في اللغة العربية(٦٢) » •

واذا توقفنا عند هذه الملاحظة ، كان لا بد لنا من أن نرى ، أن ابن خلدون لم يحافظ على خطه الوضعي في دراسة العمران البشري؛ وأنه مزج علم الاجتماع السياسي بفن السياسة •

ومع ذلك ، فاننا نظل نرى الى أي حد كان ابن خلدون نافذ النظرة ، حينما رأى من السياسة وجهيها الوضعي والمعياري ؛ وهما الوجهان اللذان أصبحنا ننظر الى السياسة منهما في وقتنا الحاضر ؛ وان كان مكان فن السياسة غير مكان علم الاجتماع السياسي •

ولكن ، ما الجوانب الايجابية التي أتى بها ؟

(٢) الجوانب الايجابية في « المقدمة » : يمكننا أن نحصر الجوانب الايجابية التي أتى بها ابن خلدون في «مقدمته» في النقاط الآتية:

أولا ــ لقد حاول ابن خلدون أن يفسر الظاهرة السياسية بربطها بالاجتماع حيناً ، وبالنفس حيناً آخر ، وبالطبيعة حيناً ثالثاً ، وبالتطور والتاريخ حيناً رابعاً ، وبالاقتصاد حيناً خامساً ، وبالأخلاق حيناً سادساً • وهذه هي المناحي التي تتبعها العلوم السياسية في أيامنا الحاضرة ؛ لتفسير ظاهرة السلطة ؛ مما يجعلنا نرى الى أي حد بعيد استطاع ابن خلدون أن يرى الظاهرة السياسية في ارتباطاتها كلها، وفي تعقدها كله • وهذا يفسر لنا لماذا زخرت « المقدمة » بتحليلات اجتماعية ونفسيَة وتاريخية واقتصادية وأخلاقية في غاية الدقة ونفاذ النظرة •

ولكن هذا اذا صح كله بالنسبة الى علم السياسة وفنها ، فهو زائد عن الحاجة بالنسبة الى علم الاجتماع السياسي الذي يجب أن يرى الأمور من زاويتها الاجتماعية ، على وجه التغليب •

ثانياً ـ لقد أدرك ابن خلدون أن الدولة قائمة على أساس من القهر والغلب ؛ ولم يكن ادراكه عابراً ؛ بل كان راسخاً يكرره في كل مناسبة ؛ وكأنه يريد أن يرسخه في ذهن قارئه. وهذا هو محور عمل الدولة في الداخل والخارج ، وهو الذي أصبحنا نعبر عنه بكلمتي « السلطة » و « السيادة » في عصرنا الحاضر .

ثالثاً ـ لقد رأى الأساس المتين الذي تقوم عليه الدولة ؛ وهو العصبية . ونظريته في العصبية تفسر لنا تفسيراً مرضياً قيام الدولة ورسوخها وزوالها ، بالنسبة الى الأزمنة القديمة ، ولا سيما المجتمعات البدوية . لكن هذه النظرة تظل صادقة في العصر الحديث ، وفي المجتمعات المتحضرة ، اذا استبدلنا بالعصبية القبلية الحزب السياسي . والحقيقة أن علاقة أفراد الحزب السياسي بحزبهم في الدول الحديثة شبيهة بعلاقة أبناء العصبية بصاحب العصبية في الدول القديمة . وما الفرق بينهما الا في تبلور بعض الأفكار السياسية ، كالحرية والعدالة مثلاً ؛ وهما فكرتان لم تكونا واضحتين في عصر ابن خلدون تماماً ؟ نظراً لطبيعة الحكم في الدول الشرقية ؛ ولأن هاتين الفكرتين نتيجة للتطورات السياسية والاجتماعية التي مرت الدول بها ، ولا سيما الغربية منها ، بعد ذلك .

رابعاً ـ لقد ربط بين السياسة والاقتصاد ، كما ربط بين الاقتصاد والاجتماع؛ وهو محق في هذا الربط تماماً . وقد أتت الماركسية بعده بخمسة قرون ؛ لتبين ذلك وتثبته .

لكنه رأى أن تجارة السلطان مؤدية الى فساد العمران ، واضمحلال الدولة ، بما تفرضه من ظلم على الرعايا الذين يقعدون عن العمل والكسب، لذهاب آمالهم في كسبهم، نتيجة منافسة السلطان لهم فيه. وهذا صحيح اذا افترضنا أن السلطان يقوم به لصالحه وصالح العائلة المالكة أو الحاشية ، كما كان يحدث في عصر ابن خلدون والعصور السابقة. لكنه غير صحيح ، اذا كان باشراف دولة عصرية تريد أن توجه اقتصادها في اطار مصلحة المجموع ولخيره .

خامساً ـ لقد كشف ابن خلدون عن قانون اجتماعي وسياسي خطير ، صادق في كل زمان ومكان؛ حينما بيّن أن ظلم السلطان الذي يقع على المصر الذي يحكمه ، يتناسب عكساً مع سعة هذا المصر . وقد تحدث عن ذلك، وهو بصدد الحديث عن تجارة السلطان وآثارها في الاضرار بمصالح الرعايا ،وقعودهم عن الكسب .

وهكذا يمكننا أن نرى في ابن خلدون مؤسساً لعلم الاجتماع السياسي ، كما رأينا فيه مؤسساً لعلم الاجتماع العام ؛ على الرغم من أن طبيعة عصره وطبيعة المجتمعات التي درسها لم يكونا بلغا المستوى الذي بلغه عصر علماء الاجتماع الغربيين ومجتمعاتهم . وهذا يبين عمق النظرة التي كان يتمتع بها، والتي جعلته ينفذ الى ما لم ينفذ اليه غيره في عصره وغير عصره . وهذا يجعلنا نصرف النظر عن بعض المآخذ التي أخذناها عليه ؛ وان كان لا يمكن صرف النظر عنها بالنسبة الى علم الاجتماع بما هو علم .

□ الحواشـــي :

١ ـ المقدمة ج ٤ ص ١٣٥٥ ، نشر الدكتور علي عبد الواحـد وافي ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦٢ .
٢ ـ المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، لجنة البيان العربـي القاهرة ١٩٥٧ .
٣ ـ المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .
٤ ـ المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .
٥ ـ المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
٦ ـ المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
٧ ـ المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .
٨ ـ المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
٩ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٨ .
١٠ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .
١١ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .
١٢ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ .
١٣ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .
١٤ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .
١٥ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٢٣ .
١٦ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨٢٩ ـ ٨٣٠ .
١٧ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٢٨ .
١٨ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٢٩ .
١٩ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٢٩ .
٢٠ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ .
٢١ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ .
٢٢ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .
٢٣ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٤١ .
٢٤ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٦٢ .
٢٥ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٦٢ .
٢٦ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٥٠ .
٢٧ ـ المقدمة ، ٢ ، ص ٤٥٠ .
٢٨ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .
٢٩ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ .
٣٠ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٧٤ .
٣١ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ .
٣٢ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ .
٣٣ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٩٨ ـ ٦٩٩ .
٣٤ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .
٣٥ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .
٣٦ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٩٩ .
٣٧ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٩٩ .
٣٨ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٧٠٠ .
٣٩ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ .
٤٠ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٧٠٠ .
٤١ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ .
٤٢ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ .
٤٣ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦ .
٤٤ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٢ .
٤٥ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .
٤٦ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ .
٤٧ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ .
٤٨ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٥١٠ ـ ٥١١ .
٤٩ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٥ .
٥٠ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ .
٥١ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ .
٥٢ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .
٥٣ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ .
٥٤ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٨٤ .
٥٥ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٨٥ .
٥٦ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٨١ .
٥٧ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٨١ .
٥٨ ـ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٨١ .
٥٩ ـ في كتابه : علم الاجتماع السياسي **Sociologie de la Politique** ص ١٤ ، منشورات الـ **P.U.F.** باريس ١٩٦٥ .
٦٠ ـ في كتابه : ابن خلدون ، فلسفته الاجتماعية ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٣٠ ـ ٣١ .
٦١ ـ راجع مقاله « فقـــه السياسة في فلسفـــة ابن خلدون الاجتماعية » المنشور في أعمال مهرجان ابن خلدون ص ٢٧٠ ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائيـة ، القاهرة ١٩٦٢ .
٦٢ ـ راجع مقاله « فلسفة السياسة عند ابن خلدون » في أعمال مهرجان ابن خلدون ص ٣٤٥ .

★ ★ ★